

محاضرة المهندس / كمال خلف

التشريعات في المدينة الإسلامية

مقدمة

عند التعرض للتشريعات المنظمة للعمان يوجه عام فنجد أنها تحكم وتوجه تصرفات الأفراد والجماعات بالنسبة لعملية التنمية العمرانية . وتقوم المجالس المحلية بتطبيق هذه التشريعات لتحقيق الاهداف التي تنشدها في مشروعات التنمية العمرانية ولضمان اقامتها مستوفاه للاشتراطات التي تكفل أمن وسلامة وراحة السكان ومستلزمات الصحة العامة وتحقيق النواحي الجمالية وخصوصية المسكن ، وقد كفل الدستور هذه النواحي بـ شرطه على القوانين المنظمة لذلك واللوائح التنفيذية والمذكرات التفسيرية .

ويكون ذلك للتشريعات الوضعية المعمول بها في في تخطيط وتنظيم العمران للمدينة بوجه عام ، بخلاف التشريعات التي تستمد نصوصها وقوانينها ولاحته التنفيذية من اصل التشريع الاسلامي ومراتبه . حيث الفيصل في توضيح واظهار القيمة المعنوية الى الواقع عمرانى يتنااسب واحكام التشريع الاسلامي هو العقل والمنطق ومجموعة الحواس التي جعلها الله في الانسان متخدًا في ذلك بعض الموجودات كوسيلة ايضاح ونقطة بداية لاطلاق الفكر التنفيذي في اقامة العمران في المدينة الاسلامية لقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض) (١٠١ يونس) (افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينناها ومالها من فرروج . والارض مدنناها وألقيننا فيها رواسی وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) (٢٠٦ ق)

وحيث ان تشریعات العمران الوضعية محدودة لاعتمادها على تطبيق المنهج
العلمي الذى يرتكز على المناقشة والتحليل فقط وحدوده هي حدود العلم نفسه ، اما
تشريعات العمران التي تستمد اصولها من الشريعة الاسلامية فهى غير محدودة حيث
انها تعنى بمواضع فلسفية وحيوية وانسانية لا يكفى العلم وحده فى شرحها او تفسيرها
بل يرتبط ايضاً باحسiss ومشاعر وعواطف انسانية تتبع منها الفنون المعاصرة بالإضافة
إلى وجود المواهب والملكات الغامضة التي تعبّر عن طابعها المميز ولا يمكن للعلم أن
يجد لها او يصل إلى امكانية طاقتها الكامنة بها . وتنظر هذه الاحسiss والملكات
التكرinيات العمرانية او التكوين المعماري للعنصر وما يضفو عليه من جمال ووظيفة
وبساطة وتعقيد واتزان الخ وتحدث كثير من العلماء والمفكرين في هذه القضية
على اعتبار الوظيفة والجمال وايهمما يسبق الآخر في تكوين العنصر العمراني .

ولكن التشريعات الأساسية في المدينة الإسلامية تحاول الربط بين عناصر التكوين العمراني جميعها بحيث يستشعر الناظر فيها روح الحياة واحساس المانع وملكاته الفنية وسهولة وراحة الاستخدام وليس ذلك وليد الصدفة ولكن اسس ثابتة في التشريع الإسلامي الذي ينظم علاقة التكوين العمراني في المدينة الإسلامية .

* اسس التشريعات في المدينة الإسلامية :

تستمد التشريعات العمرانية في المدينة الإسلامية مبادئها من الاسس التالية :-

١ - القرآن الكريم :

حيث امكانية استشاق معانى التكوينات العمرانية وتحديد الوظيفة والجمال والقيم الحضارية والخصوصية والطابع والملمس الخارجى لوحدة التكوين العمرانى في المدينة الإسلامية وذلك من خلال الآيات القرآنية الدالة على ذلك .

٢ - السنة النبوية :

وذلك من خلال الاحاديث النبوية الدالة على الجوار وآداب الطريق وخصوصية المسكن والاستئдан .

٣ - التراث الإسلامي :

ويظهر ذلك من خلال المدن او المنشآت او المباني السكنية او العامة او تشكيل المساجد المنقول اليها منذ فجر الاسلام رغم تعدد الحضارات التي فرضت نفسها على الساحة العربية والاسلامية اما عن طريق القوة العسكرية او الانتشار الطبيعي وظهور الخلط بين اشكال العمران في المدينة الإسلامية .

٤ - الانتماء الصادق ومحاولة اظهار وتطبيق الاسس السابقة بما يتلائمه وافضل الاساليب الحديثة لمواكبة التطور في اساليب البناء مع المحافظة على الطابع .

تشريعات العمران :

يمكن تقسيم تشريعات العمران في المدينة الإسلامية إلى قسمين : الأول خاص بفن التخطيط ، والثاني خاص بفن العمارة كما يلى :

أولاً : التشريعات الخاصة بالخطيط :

إذا كان التخطيط بمعناه الأوسع هو عبارة عن توجيه عمليات التنمية العمرانية بحيث تتحقق أفضل المعدلات التخطيطية في استخدامات الأراضي وتحسين البيئة العامة .

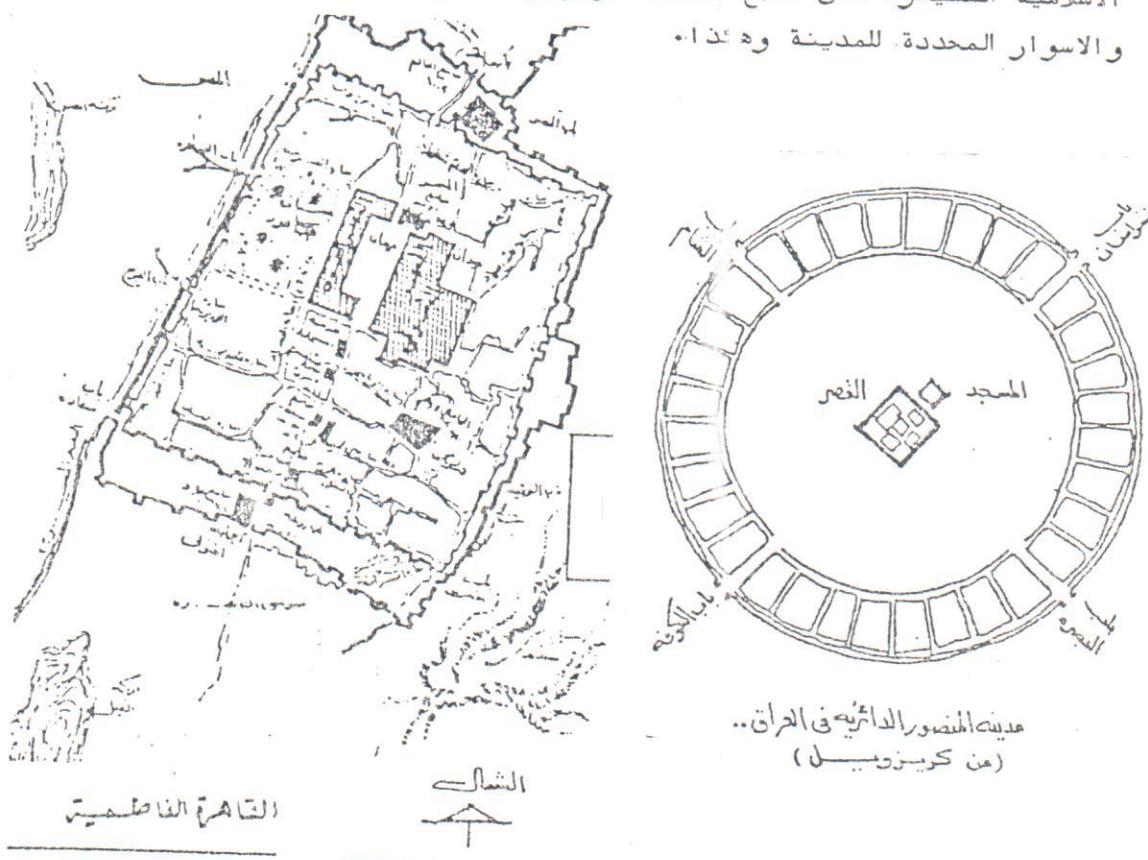
ولاي金陵 تحقيق ذلك إلا باتباع خطوات وأساليب علمية محددة للتعرف على الظروف البيئية والمقومات الطبيعية والعمرانة ودراسات السكان والخدمات والتوازن الاقتصادي للموقع ثم تحديد أفضل الأساليب التخطيطية للوصول إلى أهداف التنمية المقترحة .

ويظهر ذلك في التشريع الإسلامي بصورة محددة على هيئة مجموعات أو وحدات متكاملة تحوي كل مجموعة أو كل وحدة العناصر التي تترك منها بحيث تكون مجموعة العناصر والوحدات الجزئية مركبة أساساً له قيمة وظيفية وجمالية تحقق الهدف المقصود وذلك كقوله تعالى : " لِمَا فَيْدَ السَّمَاوَاتُ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الشَّرْقَ " (٦٥ طه) . حيث تفيـد هذه الآية شمولية الحصر التخطيطي من السماوات وما فيها من مخلوقات وآيات وجمال وترتيب وتنظيم والارض وما فيها من معادن وكتوز وما بين السماء والارض من انسان وحيوان ونبات وجماد وعوامل مناخية من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار وشمس وقمر وخلافه .

كما تتضح اسس الترتيب في المراحل التخطيطية أو مستويات التخطيط سواء أكان على المستوى القومي أو المستوى الإقليمي أو المستوى المحلي من قوله تعالى : " خَلَقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ " (٩٥ الفرقان) . وذلك إجمالاً لقضية خلق الموجودات وهذا هو المستوى الأشمل ثم فصل ذلك في مستويات أو مراحل بحيث كل مرحلة تحوي مجموعة من الجزئيات وذلك في قوله تعالى : " قُلْ إِنَّكُمْ لَكُفَّارٌ بِالذِّي خَلَقُتُ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَابِطًا مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدْرَ فِيهَا أَقْوَاتِهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أَئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا آتَيْنَا طَائِعَيْنِ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فَلَكُلَّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيِّمَ " (١٢:٩ فصلت) .

ويضاف الى هذا التفصيل والمرحلات لمسة الجمال في التكوين والاتزان في تشكيل الكتل والتباين الذي يحقق تكوين وجمال الصورة الذهنية كما أن قضية الوظيفة والجمال أصبحت واضحة حيث يسبق الجمال الوظيفة أو العكس أو يحدث تطابق بينهما بحيث تتحقق الوظيفة الجمال ذاته بما يؤشر في التشكيل العماني للمدينة الإسلامية في جمال التكوين الوظيفي وتتابع الحركة الوظيفية الجمالية في المسارات والواجهات والتقوينات والفراغات والارتفاعات والتجانس والتكامل الذي يتحقق الجمال في تناسق عالي : "انا زينا اسماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد" (٢٠٦ الصافات) . حيث قدم الوظيفة العمرانية مع طبيعة اموضع وشكل الحركة ويتبين ذلك من قوله تعالى : " والانعام خلقها لكم فيهم دفع ومنافع ومنها تأكلون ، ولكن فيهم جمال حين تريهون وحسن تسرحون" (٥ ، ٦ النحل) حيث قدم الوظيفة على الجمال مع تكامل كل منها مع الأخرى . وفي قوله تعالى : " وادأ رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكاً كبيراً" (١٢٠ الانسان) تطابق الوظيفة مع الجمال في مزيج واحد يحقق وحدة التكوين الكلي فـ تآلف وجمال " الذي أحسن كل شيء خلقه " (٢ السجدة) ومن هذه الاسس يمكن استشفاف التكوينات والتشكيلات العمرانية في المدينة الإسلامية والشخصية والطابع السميـن حيث العلامات المميزة كالماذـة والاشـارـة الاسلامية المسيطرة على طابع المدينة ومركز المـدارـة للمسجد

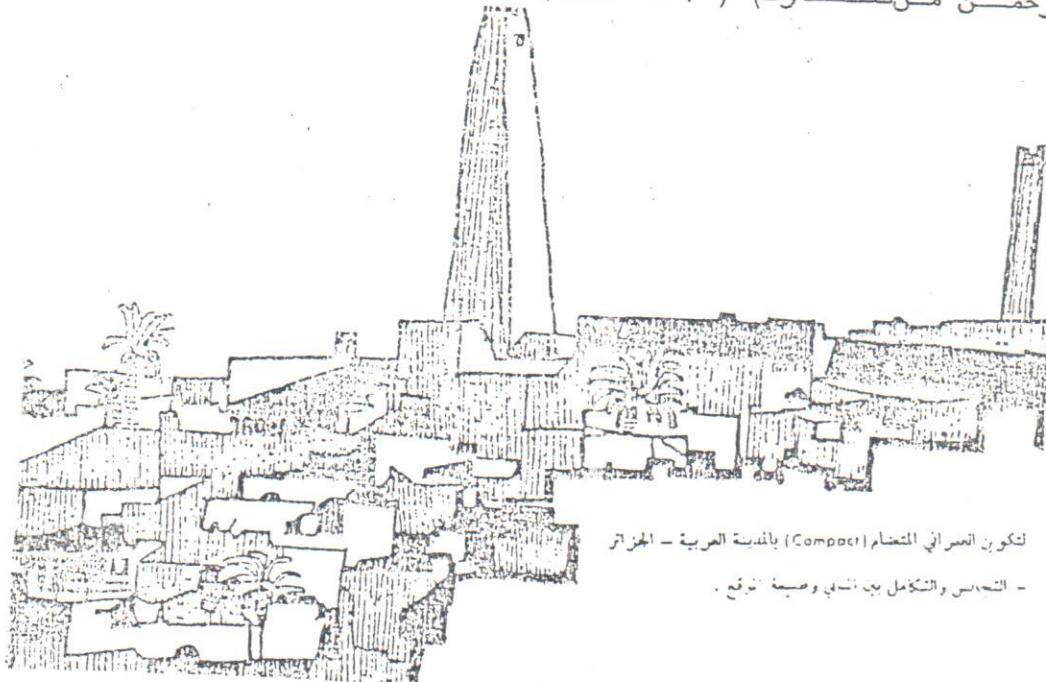
و الاسوار المحددة للمدينة وهذه ا.



مدينة المنصور الدائمة في العراق ..
 (من كريزونيل)

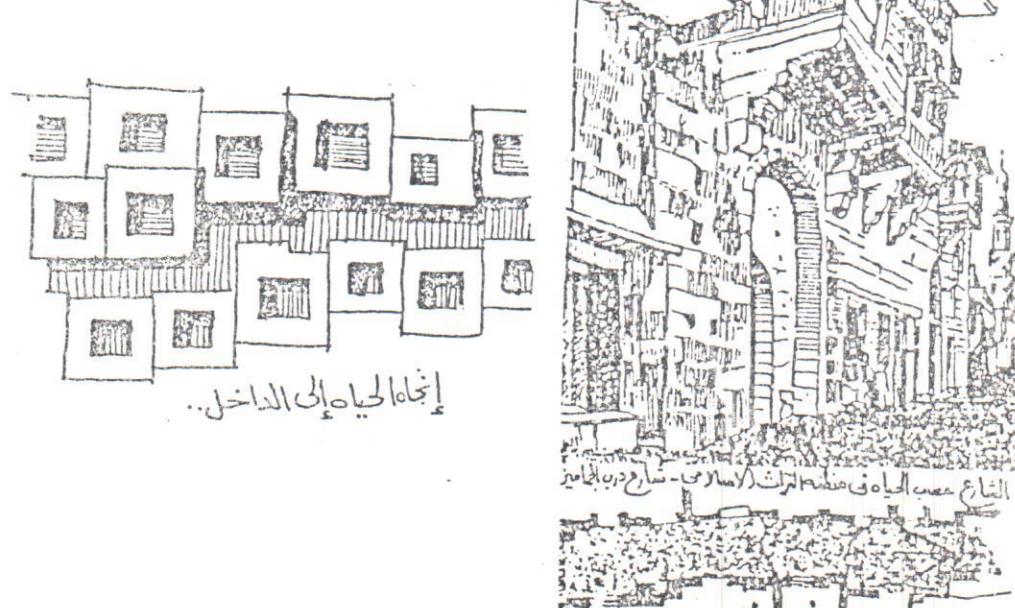
ويؤخذ من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا ان
أربعين دارا جار ، الجار الى اربعين) على مختلف الروايات والتفسيرات .
وقوله (اياكم والجلوس فى الطرق فقلوا يا رسول الله ليس
لمنا بد عن ذلك فقال ان كان ذلك فاعطوا الطريق حقه ، قالوا
وماحق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر) .

فكرة التشكيل العمراني للمسار والقيم الاسلامية الواجبة في هذا
التشكيل والوحدة التخطيطية المفترى (المجموعات السكنية) التي تؤلف فيما
بينها المجاورة السكنية وخصوصية الفراغات بالإضافة إلى خصوصية
المسكن وعناصر الاحتواء الداخلية والخارجية واتزان التشكيل العمراني
وعناصر الوحدة الجزئية والكلية وتناسق الألوان (ماترى في خلق
الرحم من تفاوت) (٣ الملك)



لتكون العبرة في المقام (Compact) بالندية العربية - الجزء

- السادس والستون بين ثني وسبعين .

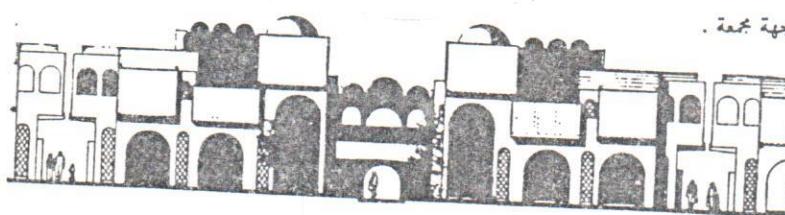


ثانياً : التشريعات الإسلامية في العمارة :

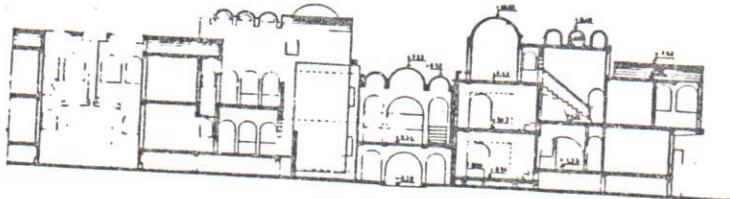
انطلاقاً من الاسس السابقة للتشريع في المدينة الإسلامية أخذ الفكر المعماري كل مقوماته ونظرياته المعمارية ، حيث التأكيد بين الوظيفة والجمال وشكل واسلوب الفتحات والخصوصية والفراغ الداخلي للمسكن والراحة والهدوء وحسن الجوar .
(والله جعل لكم من بيتكم سكنا) (٨٠ النحل .)

حيث مكان المبيت يجب ان تتوافر فيه السكينة والامن والراحة والأطمئنان والخصوصية بحيث يكون المسكن من ادق الخصوصيات في التشكيل الإسلامي للعمران تشبها بقوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) حيث خصوصيات السكن الى الزوجة هي خصوصيات المسكن وعلى هذا يكون التصميم المعماري حيث عناصر انشطة الحياة الاسرية ومتطلبات المسكن تكون الى الداخل واسلوب التوجيه والترابط الاسري في التكوين المعماري وعدم وجود الفتحات بسواء ترتفع الرؤية من الخارج وضمان التهوية والانارة ومعالجة المداخل بنفس الطريقة . بالإضافة إلى الحوائط الخارجية والتي تحدد المسكن من الخارج حيث قلة الفتحات ومعالجة الحوائط بالعوازل لضمان الستر والخصوصية والحوائط الداخلية التي تفصل بين جناح النوم والاستقبال وعدم وجود الأحواش او المناور التي تشتراك فيها اكثر من اسرة بحيث لا تتشاشي الخصوصية . وبحيث يعبر التكوين المعماري (المسكن) عن الشق الوظيفي وهو النابع من العقيدة الإسلامية ، والشق المادي وهو النابع من انعكاس العقيدة الإسلامية على التشكيلات المادية للمسكن مضافاً اليها العناصر الزخرفية والتشكيلات الجمالية المرتبطة بالبيئة الطبيعية أو المناخية أو مواد البناء أو الطابع الثقافي والعادات والتقاليد .

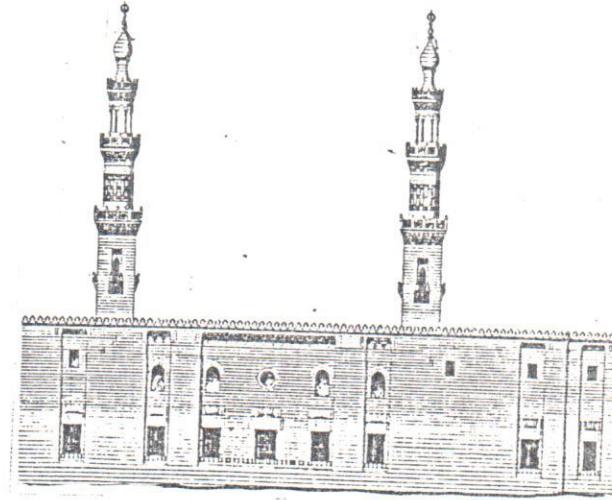
واجهة مجتمع .



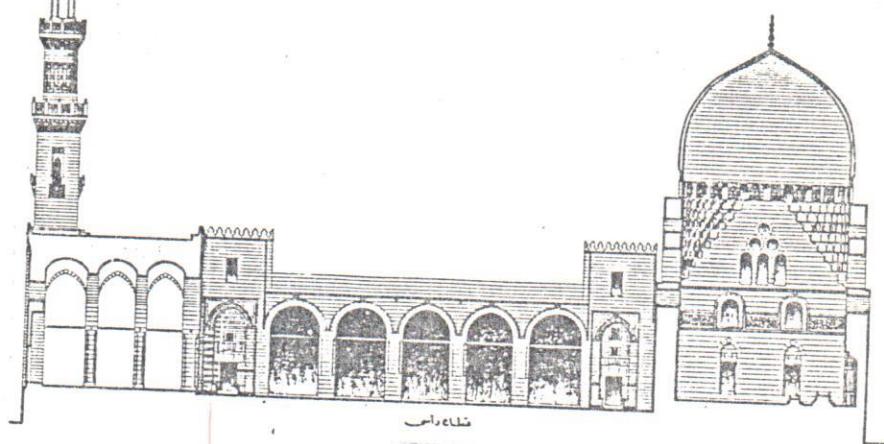
قطاع طول في المجموعة السكنية .



ولقد تحدث كثير من المفكرين ورواد العمارة عن النواحي الإسلامية في التشكيل المعماري ولكن طغيان الحضارات الحديثة اذابت كثيراً من التراث الإسلامي بحيث ماتبقى منه يقف شاهداً على حقيقة الإسلام من قوة وبساطة واتقان كما في مسجد قرطبة ، ابن طولون ، مدرسة سمرقند ثم قبة الصخرة بالمسجد الأقصى فـ مدینة القدس وهكذا من دقة الصنع وجمال الشكل وحسن الوظيفة (ان الله يحب اذا عمل احدكم عملاً ان يتلقنه ، حسنوا اصواتكم بالقرآن) صدق رسول الله ، ويفاف الى ذلك اساس الالهام الفكري من التشريع في المدينة الإسلامية قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) . (٣٨ الانعام)



واجهة جانبية



وعلى هذا يجب ان يكون الفن المعماري مستمدًا من اسس التشريع السابق شرحه بدون مغalaة في تشبيه الموجودات مع تحقيق المفهوم وبدون اسراف او تفتيير (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البساط فتقعد ملومة محسورة) الاسراء وقوله تعالى (افمن اسس بنائه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنائه على شفا جرف هاو فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) (١٠٩ التوبية)

وهكذا يجب أن تقوم المدينة الإسلامية على أساس من التشريع الإسلامي الصحيح بحيث تتحقق جميع المقاييس الوظيفية والجمالية والانسانية وفي اطار الانجازات التكنولوجية الحديثة وعدم استيراد الفكر المعماري الغربي مع تكاثف الجهود بين المفكرين والرواد والمهتمين بالعمارة في اظهار وتوسيع الفكر المعماري على أساس الشريعة الإسلامية دون الاعتماد على الغير إلا في اضيق الحدود حتى ينطلق المعماري المسلم بفكرة بعيداً عن المقاييس العصرية التي تحول دون تطبيق المبادئ والقيم الإسلامية لإقامة المجتمعات العمرانية الجديدة فحسب بل معالجة القديم ايضاً بنفس الفكر وبنفس المنهج وان اختلف اسلوب المعالجة .

والله ولئن التوفيق ، ،